



المؤتمر السابع
لنادي القصة بأسسيوط

الواقع.. وتحولات السرد

دورة الروائي القاص / زكريا عبد الغني
نوفمبر ٢٠١٨ م

أمين عام المؤتمر / علي محمد عبد الرازق
رئيس المؤتمر / أشرف محمود عكاشة

تراسل الفنون في الرواية العربية الحديثة (دراسة نقدية)¹

د. سعيد أحمد أبوضيف²

مقدمة:

تتميز الرواية الحديثة بقدرتها على التطور ومواكبة العصر ، فالكتابة الروائية قد استطاعت أن تستوعب مختلف الأجناس الأدبية الإبداعية ، من شعر ونثر ومسرح ورسم وموسيقى ، بل تعدت الكتابة الروائية إلى استيعاب الفنون ، من تصوير فوتوغرافي ، وقد عرفت هذه الظاهرة في الكتابات النقدية بظاهرة تراسل (تداخل) الفنون والأجناس الأدبية ، وقد كانت لهذه الظاهرة جانب إثرائي للعمل الروائي ؛ لتتمكن الرواية بأسلوبها الشيق من اجتذاب القارئ المستقبل لهذا النص الأدبي ، كما استطاعت الرواية الحديثة أن تحافظ على مكانتها الأدبية وأن تقدم نصوص متنوعة ؛ من حيث انتقاء الموضوعات وحرفية الكتاب والتركيز على التجريب ومواكبة التطور ، وقد ظلت الرواية العربية الحديثة ذات مضمون براق وخصائص أدبية وثقافية عالية، يؤكد هذا التنوع الأدبي للرواية محمود الضبع: "كما أن القصة العربية المعاصرة غدت باحثة عن بنى وتقنيات تعبيرية جديدة ، تخرج بها من عالم رأته محدودًا إلى عالم أكثر رحابة ، فكان أن اتكأت القصيدة على الأنماط والبنى السردية ، واعتمدت في ذلك - أنماطًا تجريبية عدة ، تنوعت بين التجريب في الشكل والتجريب في الموضوع."³

تتناقش هذه الدراسة ظاهرة تداخل الأجناس والفنون الأدبية النثرية ، مثل المسرح وما يعرف بمسرحة الرواية والقصة والموسيقى والشعر والفنون الجميلة وتقنيات السرد المتطورة ، كما توضح الدراسة هذا التراسل من خلال دراسة تطبيقية على نصوص روائية عربية حديثة مثل ، رواية "خيمة زرقاء في آخر الميدان" للكاتب ثروت عكاشة 2017، ورواية "شق الجبل" للكاتب طنطاوي عبد الحميد 2017، ورواية "طلب صداقة" للكاتب محمد عبد الحكم 2014.

¹ أبوضيف، سعيد أحمد، " تراسل الفنون في الرواية العربية الحديثة (دراسة نقدية)"، بحث مقدم لمؤتمر نادي القصة بأسبوط، إقليم وسط الصعيد الثقافي، (أسبوط، مصر، المؤتمر السابع دورة الروائي القاص زكريا عبد الغني 2018)

² أستاذ نقد الأدب الانجليزي المشارك بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز-السعودية وكلية الآداب - جامعة اسبوط

³ د. محمود الضبع ص 333 تحت عنوان "السرد في الشعر / الشعري في السرد"، أسئلة السرد الجديد (مجموعة أبحاث)، 2008

وقد اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي للنصوص الأدبية الذي يعمل على تقديم وصف لمحتوى النصوص الأدبية، كما يقدم هدف الدراسة والبيئة المحيطة بالنصوص الأدبية المختارة لدراسة مضمونها وتحليله. وتقدم الدراسة تحليلاً تطبيقياً للأعمال الروائية التي عملت على مزج مختلف الأجناس الأدبية؛ لتكون مضموناً أدبياً ثرياً وقد دمجت هذه الروايات الحديثة بعض الفنون دمجاً فنياً رائعاً.

تراسل الفنون في الرواية العربية الحديثة:

شهدت الرواية تحولات كبيرة خلال القرن العشرين ، شملت تطور الأجناس الأدبية وعملت الرواية على تخطي التقاليد والأعراف وتمردت الرواية على الأشكال التقليدية الكلاسيكية ، فقد تخطت حدود الأجناس الأدبية ، وكان للتجريب دوراً هاماً خلال مرحلة الحداثة، فنجد الرواية قد استفادت من المنهج النفسي وافتتحت على المسرح العالمي بما فيه من إثراء للشخصية المركبة ، كما في مسرحية هاملت وعطيل للكاتب الإنجليزي ويليم شكسبير⁴ ، فقد تم إنتاج روايات عربية مسرحية كما في مسرحية توفيق الحكيم⁵. بالإضافة إلى انفتاح الرواية على القصة القصيرة والشعر ، وتم إنتاج الرواية الشعرية وهي تكتب بالنثر الشعري كما ذكر الباحث سعيد محمود في دراسته عن الروائيين فيكرم سيث وأنتوني بيرجز⁶ ، ولقد تعدى تراسل الأجناس الأدبية إلى تراسل الفنون ، وقد أضفى ذلك شكلاً جديداً للرواية المصرية الحديثة وهي قادرة على هذا الاستيعاب والتطور والاندماج ، وفي هذا السياق يوضح الناقد صلاح فضل تراسل النمط الشعري مع الروائي حين يستخدم الكاتب الروائي أسلوباً لغوياً يرتقي إلى مستوى اللغة الشعرية : " إذا انتزعت الكلمة في السرد دور البطولة من بقية العناصر واستقلت بشعريتها عن شبكة العلاقات السردية ، أخذ العمل الروائي يميل تجاه الغنائية ويصبح شعراً بالمعنى المحدود للكلمة ، وهذا ما يحدث غالباً في النصوص المختلطة التي لا تقوى على توظيف الخواص النوعية للرواية "⁷.

لقد ظهر الترسل في الرواية المصرية متعدد الأغراض ولم يتوقف عند عنصر الجمال ، الذي هو عنصر هام في الفنون الأخرى ، فقد اشتمل على الترسل البصري والسمعي بالإضافة إلى بلاغة النص ودقة

⁴ د. محمد نجيب التلاوي، ظاهرة تراسل الفنون - مجلة الموقف الأدبي، المواقع الإلكترونية، 2006.

⁵ - محمد يحيى النادي، مسرحية توفيق الحكيم، 1966، الادب للنشر والتوزيع

⁶ - Mahmoud, Said, "Anthony Burgess and Vikram Seth as Twentieth Century Verse Novelists (A Critical Study)

⁷ "بلاغة الخطاب وعلم النص" د. صلاح فضل ص 294 -سلسلة عالم المعرفة العدد 164 - الكويت أغسطس 1992 م

التفاصيل ، فنجد فن التصوير الحسي من لون وتشكيل وضوء يمتزج مع التصور البلاغي ، وقد تعدى التراسل إلى الموسيقى من حيث الإيقاعات والمقامات والأنغام والإحساس ، وتعدى تراسل الفنون في الرواية ليشمل فن التصوير السينمائي ، من الاعتماد على السيناريو وتكوين المشاهد المركبة والبسيطة ، بالإضافة إلى استخدام الحوار المسرحي والحبكة الدرامية وتطور الصراع في الرواية وتضاعفها لتصل إلى الذروة ، ثم تأخذ في التقهقر إلى أن تنتهي بحل لعقدة الصراع ، كما في الأعمال المسرحية الكلاسيكية القديمة ، كما يؤكد هذا المعنى الناقد الكبير د. عبد الرحيم الكردي عن تطور فن الرواية العربية الحديثة : "لا تكسر فقط الحواجز بين الأنواع الأدبية ، بل تعمل أيضا علي تقجير النوع الأدبي من داخله ، فهذه الأعمال تتمرد علي القيم الجمالية للنوع الروائي وعلى التقنيات السردية الروائية التقليدية ، وعلى الطرق التقليدية في تصوير الشخصيات وتصوير الزمان والمكان ، بل تفتت الحبكة والحكاية معاً".⁸

كيف يتم تراسل الفنون في الرواية العربية؟

للرواية بناء تقليدي من حيث اعتمادها على فكرة القصة ؛ حيث يلعب فن السرد في الرواية دورا أساسيا لبناء الشخصيات وخلق بيئة الزمان والمكان واحتوائها على عقدة البناء والتركيب ؛ ومن ثم فكيف يتم تراسل الفنون والأجناس الأدبية الأخرى ، كالمسرح والقصة والشعر في الرواية الحديثة. في دراسة عن تراسل الفنون في الرواية الحديثة ، تقول الباحثة : "كذلك اشتراك بعض جماليات الفنون في أسسها كالصورة الفوتوغرافية المكتوبة بالكلمات والتي من الممكن إدراجها تحت تقنيات الكاميرا في السينما أو الفن التشكيلي ، والإضاءة كذلك عنصر مشترك بين المسرح والفن التشكيلي والسينما"⁹ ، ويمكننا ان نضيف على سبيل العرض وليس الحصر ان الرواية قد استفادت من الأساليب السينمائية مثل استخدام أسلوب التشويق والاثارة بالإضافة إلى استخدام أسلوب الفلاش باك السينمائي ، ام عن المسرح فقد استفادت الرواية كثيرا من استخدام الحوار الدرامي بدلا من استخدام أسلوب السرد التقليدي وعمد البناء الروائي على نسج الاحداث علي شاكلة الحبكة الدرامية المتصاعدة الاحداث إلى قمة الصراع ثم اتجاهها إلى الحل تدريجيا ويوضح د. محمد التلاوي في بحثه عن تراسل الفنون في الرواية " إن العلاقة بين الرواية والفنون الجميلة لم تقف عند دائرة تراسلها مع

⁸ أسئلة السرد الجديد (مجموعة أبحاث) د. عبد الرحيم الكردي تحت عنوان "السرد الروائي وتداخل الأنواع" - ص 280 ، كتاب أبحاث مؤتمر أدباء

مصر - مرسى مطروح 2008 م .

⁹ سماح دياب، تراسل الفنون في الرواية العربية المعاصرة في مصر في العقد الأول من القرن الحادي والعشرون، ص ج

الفنون الجميلة القولية واحتوائها لمختلف الأجناس الأدبية، وإنما تخطتها نحو الدائرة الأخرى واستطاعت بقدرة الكلمة كرمز معبر عن جميع الفنون من تصوير الأشياء والموجودات صورا مرئية ومسموعة عبر خيال القارئ، وتطور الأمر بإدراج الصور المرسومة داخل الرواية، واتباع أسلوب السيناريو في الكتابة الروائية".

"طلب صداقة":

هذه الرواية هي إحدى الأعمال الروائية لمحمد عبد الحكم في مسيرته الإبداعية، وقد وحصل على جوائز عديدة، كما ترجم له إلى الإنجليزية بعض منها، وتناول أعماله كثير من النقاد والمبدعين. والمتأمل في رواية الكاتب محمد عبد الحكم حسن "طلب صداقة" يلحظ تواتر هذه الظاهرة، ظاهرة التراسل بين الفنون، في أعماله تواترا لافتا، فرواياته تستدعي فنونا لغوية وغير لغوية، توظف، بشكل ملفت، طاقاتها الرمزية واللغوية، مخترقة، باستمرار، أعراف السرد التقليدية، من أجل تأسيس جماليات جديدة. ونحن إذ نتناول هذا العمل بالنظر والتدبر سنكتفي في هذه الدراسة بتأمل تراسل هذه الرواية مع فنون المسرح والسينما والحكاية الشعبية بالإضافة إلى الإيقاع الموسيقي.. وهذا التراسل من أكثر ضروب التراسل ترددا في روايات الكاتب ، لكن هذا لا ينفي وجود أشكال أخرى من التراسل كثيرة تحتاج هي الأخرى، إلى دراسات أخرى.

اللغة الشعرية النثرية:

لا يمكن إغفال حقيقة أن الكاتب في الرواية قد عمد إلى الاعتماد على المزج بين اللغة الشعرية المجازية المختصرة بالإضافة إلى اللغة النثرية البلاغية وقد عمل الكاتب على استدعاء الشعر في روايته بحثا عن تعبيرات جديدة " لم تكن يمامة ، إنما كان خفاشا يدعي الموت ..ويخبئ وجهه العجوز بين جناحين من ليل"¹⁰ عمل الكاتب على مزج لغة بلغة ، وأسلوب بآخر ليحصل على تراكيب ودلالات جديدة لكي يوظف اللغة السردية ويستخرج جماليات المزج بين المتناقضات وقد كان هذا واضحا في رواية الكاتب التي أتاحت للفنون أن تتقارب وتتجاذب وتتمرد على الأعراف السردية وقد كان من الواضح استخدام الكاتب للغة الشعرية منذ بداية الرواية بما فيها من رموز وإيقاعات وخصائص:

¹⁰ طلب صداقة، محمد عبد الحكم، ص 51

الضاحك

أنا الضاحك، اتسكع على مفارش الظل، ونمنمات الماء، وأفواه الجحور والأعشاش والأفرع العالية، أتمسمر كلما رأيت سباط النخيل، أتلوى ككرباج واقذف، طوب ينساب وبلح يتساقط، وأكف أصحاب النخل تلسع ظهري، ألهث بين الدروب ضاحكاً.. ربما من أثر الألم.¹¹

الموسيقي الداخلية في النص:

تتميز كلمات الكاتب بتقاطع لغتان: لغة السرد ولغة المجاز، وهاتان اللغتان تترادفان داخل الرواية من أجل خلق صورة ذهنية مجازية وخلق لغة روائية جديدة، هذا بالإضافة إلى الإيقاع الموسيقي المتدفق في النص فلموسيقي حضور لافت في الرواية فقد استثمر الكاتب الإيقاع الموسيقي كعنصر في البناء السردى واصبحت لديه قوة كامنة لعالم السرد فقد استعان بالإيقاع الموسيقي لتنظيم الوحدة الروائية المتناغمة:

قال تريد نقوداً، قلت لا.

تشتغل في الفلاحة؟

.....

تاخذ دكان وبضاعة وتتاخر؟

.....

تكتب لي الحسابات

ويعرض وأرفض.¹²

¹¹ طلب صداقة، ص 51

¹² طلب صداقة، ص 94

على هذا النحو، يخضع توزيع الأحداث وتنظيمها إلى إيقاع موسيقى من خلال عبارات قصيرة متتابعة الوحدة والإيقاع.

تراسل فن السينما في رواية "طلب صداقة":

ورواية محمد عبد الحكم تراسل واضح مع فن السينما ويعود المزج بين فنون السينما والرواية إلى بدايات القرن العشرين خلال أعمال الكاتب الأمريكي دوس باسوس وظهر استخدام تقنيات السينما جلياً لدى روائيين لديهم خبرات سينمائية من خلال اشتراكهم في سيناريو أعمالهم كالروائي صنع الله إبراهيم.

تبدأ الرواية بمشهد سينمائي متحرك لكاتب سيناريو يعرف حركة الكاميرا يجلس أمام الكمبيوتر ليتصفح الفيسبوك ونستمع اليه وهو يقدم لنا معلومات تفيد بناء المشهد من حيث الزمن والمكان والأشخاص ونستمع إلى حديث بطل الرواية وهو يهمس إلى نفسه ويقدم لنا معلومات تساعد القارئ على تأسيس فهمه لباقي أحداث الرواية ويمكن الكاتب القارئ من تخيل المشهد السينمائي وحركة الكاميرا التي تدور حول المكان في لقطات قصيرة سريعة متقطعة تتناغم مع الإيقاع الشعري الموسيقى الذي اختاره الكاتب ونستطيع أن نرى بعين الكاميرا بطل الرواية وهو يتفاعل مع تعليقات الأصدقاء على صفحته في الفيسبوك ونرى وتخيّل صوراً لوجه الساخر وامتعاضه من بعض التعليقات ، يتكون المشهد الأول في الرواية "البحث عن أصدقاء" من بناء تأسيسي لقصة كاملة وهو يعمل على التحضير النفسي والذهني للقارئ للدخول في جو القصة ويعرف الشخصيات وطبيعة الأماكن والزمان والأحداث ومنها نتعرف على المؤلف بطل الرواية فهو كاتب سيناريو في أزمة نفسية لكونه كاتباً أدبياً جاداً أما الراجح والناجح الآن هو شقه الآخر ككاتب للأفلام الهابطة والرواية تبدأ ببحثه عن أمثاله من الأصدقاء الجادين في الحياة.

هكذا اعتمد الكاتب أسلوب الفلاش باك السينمائي والمشهد الممتد الذي يبدأ بصوت المؤلف ثم يمتد على أنه صوت الراوي خلال المشاهد التالية في الرواية ونتعرف على تجربته في القاهرة وكيف تحول إلى كاتب أفلام هابطة بسبب سمر عارف تتداخل مشاهد القصة بين القص المباشر تارة وبين اللحظات الخاطفة من الماضي تارة أخرى لتكون مبرر الكاتب محمد عبد الحكيم في الوصول إلى ذروة الأحداث حين يرتدى منهاراً ولا يجد غير ما يخرج من هذه الأزمة النفسية سوى أن يقوم بإخراج أول القصص الجادة التي كتبها ويبدأ في قراءتها كان ذلك ملمحاً لعودة الكاتب الجاد وأنه استطاع أن يتغلب على الصراع الداخلي ليصبح أمله

الوحيد في استعادة ذاته ، وهكذا فإن هذه الرواية كما كتب عنها من مجموعة من النقاد الجادين أنها رواية
تتصدر للمهمشين الذين تمارس عليهم أساليب القهر والظلم بطلها يفريق بعد غياب عن هموم الوطن:

وافقوا على طلب الصداقة، امنحوني لحظة صدق، املاؤوني بفيض أفكاركم تلك التي هربت
مني بلا رجعة ،.... ارجعوني طفلاً ضحوكاً أدور بين الترع والسواقي وأقدام الجمال وظل
النخيل وحكايات الخالة أمينة وكفر هجرته منذ سنين ، يأتيني ناسه ليلاً يطالبونني بكل مثل
وحكمة وضحكة ولمّة وساعة سمر ، ونهر يمتد حد الشوف يحمل قهقهاتي المتعبة وأنا
أتسابق مع سيد في عبوره،¹³

يستمر الصراع الذي يتحدث عنه الكاتب عبر التاريخ فيحمل شخصيات وأماكن وأزمنة تاريخية من الأتراك
والثورات والانفتاح وثورة 25 يناير ونعلم من قراءة الرواية أن هذه القصص الجادة التي كتبها المؤلف هي
الأمّل الذي يستلهم منه الكاتب القدرة للتغلب على همومه وينتهي به المطاف إلى أن يثق به أصدقاؤه
الجادون ويمتزج هو معهم في الأمّل الجديد من القدرة على التغير وإحداث الثورة الشاملة مع تكرار هتافات
التغير والثورة "ارحل ارحل ارحل".

وهكذا تقدم هذه الدراسات هذه اللوحات المختصرة لظاهرة ترأسل الفنون في رواية الكاتب المبدع محمد عبد
الحكم الذي أبدع من خلال تكوين مشاهد لغوية سينمائية وكذلك استخدام اللغة راقية ترقى إلى مستوى
الأعمال الشعرية، يؤكد د. يوسف نوفل أن " شاعرية التصوير " ركن من أركان التجربة اللغوية في الأعمال
الأدبية، تتجلي أكثر في الشعر لكنها في الوقت نفسه تسهم في الأعمال القصصية والمسرحية إذا ما وظفت
التوظيف الملائم والمناسب على مستوى السرد والحوار على حد سواء بما فيها من تجسيم وتجسيد وحركة
وصوت ولون ".¹⁴

"خيمة زرقاء في آخر الميدان":

والرواية الثانية في هذه الدراسة هي رواية الكاتب ثروت عكاشة السنوسي وهو كاتب له العديد من الروايات
وحصل على عديد من الجوائز كما أنه عضو اتحاد كتاب مصر ومن الملفت للنظر أن الكاتب ليس روائياً

¹³ طلب صداقة ص 9

¹⁴ "النص الكلي " د. يوسف نوفل ص292

فقط إنما هو أيضا شاعر له بعض دواوين الشعر مثل ديوان "خاطر قلب جريح" كما أنه كاتب مسرح فقد قدم مسرحية "طرطخان في بلاد الواق-واق" سنة 2009 وقد كان لتمكن الكاتب من الأجناس الأدبية المختلفة أن يقدم نوعا من تراسل الأجناس الأدبية والفنون في روايته "خيمة زرقاء في آخر الميدان" 2017 ويمكننا أن نلاحظ من الوهلة الأولى عند قراءة هذه الرواية أن الكاتب قد تمكن من المزج بين الحوار المسرحي وبين السرد الروائي فهو ينتقل ما بين السرد الروائي التقليدي إلى الحوار المسرحي المتميز ويمكننا أن نتذكر كلمات د. محمد نجيب التلاوي عن المزج بين الفن الروائي والمسرحي فقد قال " إنها شكل أدبي جديد تتعاقب فيه الصيغتان المسرحية والسردية وتتواليان بإخراجها الطباعي المميز، ويبدو أن إقدام «توفيق الحكيم» على كتابة محاولته «بنك القلق» قدماها وهو متشعب بوجهة نظر بعض النقاد الفرنسيين وظن أنه يقدم وليدا أدبيا مهجنا.¹⁵

القصص الشعبي:

يقدم الكاتب روايته بأسلوب أقرب إلى القصص والحكايات الشعبية وتدور أحداث الرواية اثناء ثورة المصريين في 25 يناير 2011 وبطل الرواية الذي يقدمه الكاتب بمفهوم البطل الأسطوري ويقدم له بطريقة سردية سينمائية تعمد إلى رسم الشخصية الوصفية "يسير بين الجموع بطوله الفارع. مرتديا جلبابه البلدي ذا اللون الكحلي والكم الواسع والطاقيّة الصوف فوق رأسه.¹⁶ استخدم الكاتب العبارات القصيرة وهي أشبه بلقطات الكاميرا الضيقة التي اهتمت بنقل التفاصيل الدقيقة للشخصية من الخارج ولكن بطبيعة الحال لم تتمكن الصورة من اختراق أعماق الشخصية لتقديم مزيد من المعلومات الهامة للقارئ وخاصة في بداية الرواية وقد كان اهتمام الكاتب بالوصف الجسدي والظاهري أكبر من اهتمامه بتقديم البطل والشخصية الرئيسية في الرواية من الداخل بشكل أعمق وأدق من الناحية النفسية أو الاجتماعية فلقد كان لتأثير وصف المشهد السينمائي عامل كبير في أن يغفل الكاتب عن تقديم شخصيته الرئيسية بطريقة أكثر عمقا ليتمكن من خلق عامل الترابط النفسي بين هذا البطل الأسطوري والقارئ المتعطش لمعرفة جوانب هذه الشخصية الغريبة التي تظهر من المجهول وتسير إلى قصة أشبه بالأسطورة . اعتمد الكاتب في روايته على أسلوب السرد الشفهي فالرواية تبدو وكأن الكاتب يروي قصته مشافهة رغم أنه يكتب الأحداث ويرويها كتابة فيمكن للقارئ أن

¹⁵ د. محمد نجيب التلاوي، ظاهرة تراسل الفنون.

¹⁶ ثروت عكاشة- خيمة زرقاء في اخر الميدان، ص5

يستمتع بوضوح لصوت المؤلف من خلال سطور الرواية "تطلع عبد الدايم إلى الخارج. نهض في همة ونشاط. وأخذ مداسه. وغادر المسجد هادئ النفس كثيرا عما دخله. كان كلما ملات قلبه الهموم، وضافت الدنيا في وجهه .. جاء من بلدته إلى سيدنا الحسين، وقضى يومه بين الصلاة والدعاء، ثم غادر مستريح النفس"¹⁷. فبنية الجملة، وطريقة السرد، وطبيعة الشخصية والأحداث جعلت من السرد الروائي سردا شفها عالي النبرة يفتقر إلى العمق الروائي فالكاتب في هذه الرواية لا يكتب وإنما يروي ويحكى مما جعل الرواية أشبه بالقصص الشعبية على طريقة الرواة القدامى في السرد وقد عمد الكاتب إلى التكرار والإسهاب في الوصف وأصبحت الرواية منذ بدايتها حتى النهاية ضربا من التداعي منطلقا من دائرة مفتوحة وتدور حول حدث واحد من أحداث الثورة منذ بداية رحلة عبد الدايم إلى ميدان التحرير حتى عودته مرة أخرى إلى الكفر وسقوط مبارك وهو يصدق بالهتافات التي لم تنتقطع لحظة واحدة خلال رحلة عبد الدايم في هذه الرواية.

قال كل هذا ثم خر بين الثوار راكعا على ركبتيه وهو يبكي في هستيريا، بينما الجميع من حوله يهتفون:

يسقط مبارك.. لازم يرحل

يسقط النظام.. لازم يرحل

يسقط.. يسقط حكم الفاسد

يسقط.. يسقط حكم الظالم¹⁸

استطاع الكاتب أن ينقل لنا بطريقة السرد الروائية صورة مكتوبة بالكلمات كتابة وصرنا نشعر عند قراءتها بأننا أمام عدسة كاميرا لا تقلت شيئا من تفاصيل الصورة والصوت والديكور، وكأنها معدة للإخراج والتصوير، حيث الحرص على استيفاء أبعاد المشهد يوحي بوجود نزعة سينمائية تكمن في فعل السرد كما نلاحظ في هذا المقطع: " اشتعل الليل مع غضب الجموع وذاد الناس كثيرا في الميدان، وازدادت الشرطة

¹⁷ خيمة زرقاء في اخر الميدان، ص 5

¹⁸ خيمة زرقاء في اخر الميدان، ص 184

شراسة لتلقيها أوامر علينا بفض الاعتصام إنهاء الأمر ... طلبت الشرطة بمكبرات الصوت أن يغادر الجميع أرض الميدان"¹⁹.

المشاهد الحيوية:

استطاع الكاتب في الرواية أن يقدم لنا مشاهد حيوية حافلة بالحركة والحياة وهي تواكب طبيعة الفكرة الرئيسية التي يتتبعها ويرصدها الكاتب هي تيمية واحدة خلال الرواية ولم تقدم أي موضوعات جانبية تمثل صراعا متداخلا في حبكة البناء الروائي. قدم الكاتب مشاهد حيوية متأثرا بفن السينما حيث شدد على الوصف ورصد الحركة والصوت ضمن مشاهد حيوية تخاطب حواس السمع والبصر وهو ما أضفى على هذه الرواية طابعا دراميا أكثر من كونه أدبيا كما نستطيع أن نري ذلك من هذا المقطع:

" لاه يا بتي ما تقوليش كده، لسه حس أبوك وخواتك في الدنيا..

دنيا.. دنية إيه يا امه ما خلاص. أبويا وخواتي التنتين راحوا.. رحو خلاص..

اخرسى يا بت.. قطع لسانك.. أبوك وخواتك ه يرجعوا.. ه يرجعونا بالسلامة..²⁰

استخدام الحوار المسرحي:

يعد استخدام الكاتب للحوار المسرحي من العوامل الجيدة التي أدت إلى تداخل السرد الروائي مع الحوار ذى الطابع المسرحي الذي اعتمد على الوصف ومحاولة إيجاد نوع من الخطاب والتأثير المباشر على المتلقي وعن أهمية استخدام الحوار في النصوص الروائية يقول د. محمد التلاوي: " أن رغبة الرواية في تفعيل خاصة الحضور عن طريق الصوت والخطاب والحوار بأنواعه، وهى التي سمحت بتداخل الأجناس الأدبية في الرواية ولاسيما الحوار المسرحي وهي المزج الماهر للحاضر البصري والضوئي والماضي المستحضر من خلال نقطة حاضرة قد سمح لنا باتجاه جديد"²¹. فإن الكاتب الروائي عمل على استخدام الحوار خلال السرد القصصي في أكثر من موضع في الرواية ليضيف نوع من الحضور كما يضيف الحوار إلى السرد الروائي

¹⁹ خيمة زرقاء في اخر الميدان، ص 19

²⁰ خيمة زرقاء في اخر الميدان، ص 26

²¹ د. محمد نجيب التلاوي، ظاهرة ترأسل الفنون

عنصر الصوت وتقارب الشخصيات مع القارئ ففي هذا المقطع من الرواية استخدم الكاتب الحوار المطول الذي يشبه الحوار المسرحي والذي ساعد كثيرا على التعرف على شخصية الشاب وعلى إيجاد وسيلة جديدة لخلق التقارب الحميم بين شخصيات الرواية وتوحيد الهدف الذي يبحث عنه أشخاص الرواية:

رد عبد الدايم بسؤال للشاب:

اسمك إيه يا ولدي..؟

-محمد حسن يا حج عبد الدايم

دهش الرجل من معرفة الشاب له دون سابق لقاء .

وقال:

انت تعرفني يا ولدي..؟

طبعا يا عمنا هو فيه حد ما يعرفش أرجل فلاح في الميدان كله ..؟

.....

ياذن الله خير يا ولدي.. ربنا كبير وقادر على كل شيء بس حكايتك ايه يا ولدي...؟

حكايتي طويلة يا عم عبد الدايم..

احكيها يا محمد ليل الشتا طويل يا ولدي والدنيا هادية شويه حولينا انهاردہ²²

لقد استخدم الكاتب الحوار المسرحي خلال الرواية في مواضع كثيرة وكان لاستخدامه أهدافا متنوعة منها التعريف بالشخصيات وخلق صلات التقارب بين شخصيات الرواية إضافة إلى إيجاد أهداف مشتركة تجمعهم جميعا على الرغبة في الثورة وتحقيق أهداف الثورة التي يسعون اليها جميعا ولذلك فإن هذه المحاولات تشير إلى تخلي الروائي عن الأسلوب التقليدي في السرد والقص التقليدي وتطلعه إلى مزيد من التجريب الشكلي والحيوية الزائدة للمشاهد الروائية. وقد كان من أكثر الروائيين المهتمين باستخدام الحوار المسرحي في

²² خيمة زرقاء في اخر الميدان، ص 70-71

روايتهم نجيب محفوظ الذي أظهر عناية فائقة باستخدام الحوار في الرواية وقد قام وليد نجار بإحصاء هذه الخاصة الحوارية في بعض روايات نجيب محفوظ، مثل: القاهرة الجديدة بها 33 مشهداً حوارياً متنوعاً حوار أفقي ورأسي وواصف وحوار داخلي. كما بلغت المشاهد الحوارية في الثلاثية «بين القصرين، وقصر الشوق، والسكرية» مئة وأربعة وثمانين مشهداً حوارياً متنوعاً، إلا أن رغبة محفوظ في المسرحية لمشاهد رواياته لم تصل إلى حد وصفها بالمسرواية.²³

الأداء الجماعي (الكورس):

حاول الكاتب استلهم فكرة البطل الشعبي منذ بداية الرواية وتقديم فكرة الأسطورة الشعبية التقليدية من خلال تقديم بطل الرواية القادم من المجهول كفلاح غير متعلم يتجه إلى القاهرة ويبحث عن ميدان الثورة وهو يشق طريق الصعاب لكي يصل إلى الهدف المنشود وتحقيق الحرية ومن خلال هذه الرحلة يتعرف معه القارئ على مراحل الثورة والأحداث السياسية ومراحل تطور الأحداث ومن أجل أن يضيف الكاتب البطولة والزعامة الشعبية على عبد الدايم وعلى رحلة خلال الثورة ليبحث عن أولاده في الميدان استخدم الكاتب الهتافات الشعبية وكأنه نوع من الغناء الجماعي لشخصيات الرواية لتحقيق الوحدة والهدف:

حسن بإصرار أكثر:

لا.. لا يا مينا .. دي فرصتنا الأخيرة للخلاص من حكم مبارك.. لازم نكمل للأخر.. إما يرحل او نموت احنا ونرتاح..

يصرخ عبد الدايم:

(لازم يرحل.. لازم يرحل..)

يهتف وراءه الشباب جميعهم:

(لازم يرحل.. لازم يرحل..)

يهتف كل من بالميدان:

²³ قضايا السرد عند نجيب محفوظ، وليد نجار، 1985، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع

(ارحل...ارحل...)

(ارحل...ارحل...)

(ارحل...ارحل...)

(ارحل...ارحل...)

(مش هنمشي.. هو يمشي..)

(مش هنمشي.. هو يمشي..)

(مش هنمشي.. هو يمشي..)

(ارحل..ارحل)

حمل الشباب عبد الدايم وحسن على الأعناق وهما يرفعان العلم ويهتقان مطالبين مبارك بالتنحي والرحيل،
وكل الميدان يردد خلفهما..

(هو يمشي.. مش هنمشي.. ارحل..ارحل)²⁴

وهكذا استطاع الكاتب أن يقدم رواية تحكي قصة ثورة الشعب المصري من خلال بطل القصة المقهور والمهمش الذي يبحث عن ذاته الضائعة وسط كم هائل من الظلم والقهر، كما استلهم الكاتب فكرة السيناريو السينمائي والتصوير السينمائي ليحدث نوعا من التطوير في العملية السردية داخل الرواية وليتمكن من إحداث حركات سريعة أشبه باللقطات السينمائية الجماعية التي تتسم بالحركة والصوت والمجاميع الكبيرة من الشخصيات في المشهد الروائي.

"شق الجبل":

الكاتب الروائي المبدع طنطاوي عبد الحميد طنطاوي الذي قدم العديد من الأعمال الروائية الرائعة التي تعد من أهم الاعمال الروائية الحديثة مثل "كلاب الصيد" 2000 وكذلك روايته الرائعة "السماسة" 2016 وهو من

جيل كتاب الصعيد فهو ابن محافظة المنيا وهو أيضا من كتاب القصة القصيرة فقد قدم مجموعات قصصية مثل "اقتلوا الموتى" (قصص قصيرة)، 2008 و "من يوميات مدرس متمرد" (قصص قصيرة)، 2014 كما قدم بعض الأعمال المسرحية مثل "لن تسقط المئذنة" (مسرحية)، 2001 و "الخوف علينا حق" (نصوص مسرحية)، 2013 وهو يقدم روايته "شق الجبل" 2017 التي تعد من أهم الروايات العربية الحديثة من حيث الكتابة الإبداعية والتي تضاهي الأعمال الكلاسيكية الروائية المبنية على القيمة الفنية العالية ويتميز الكاتب القادم من محافظة المنيا بدقة مفرداته وصياغته الفنية المبدعة بالإضافة إلى قدرته اللغوية الفارقة وتمكنه من الصياغات والتركييبات المركبة.

السرد الإبداعي في كتابات طنطاوي:

السرد الروائي جزء مهم من الكتابة الروائية ومن نص الرواية والذي ينقسم إلى سرد عشوائي وسرد إبداعي خاضع لقوانين وإمكانيات الكاتب اللغوية وقدرته وتمكنه من مفردات اللغة وأبجدياتها، والرواية التي نحاول أن نقدم لها دراسة مختصرة مبنية على محاولة دراسة ظاهرة ترسل الفنون في الرواية العربية الحديثة هي رواية "شق الجبل" والحقيقة أن هذه الرواية تخضع لمجموعة من قوانين العمل الروائي الإبداعي والتخطيطي كما تخضع لقدرة الكاتب الاحترافية ومدي تمكنه من حرفة الكتابة والسرد ، كذلك فإن طبيعة استخدام الكاتب للغة الأدبية المبتكرة واستخدام نهج بلاغي إبداعي كما في المقطع التالي من الرواية "ست ستات الدنيا ... تقول للقمر قوم وأنا أقعد مكانك ...كلامها زي الميه الزلال ولا العسل النحل المصفى ... من بنات الحور ولا حمامة بيضا بيضها أكثر من بياض شال سيدي الناظر ...ضحكتها تنور الليل اللي قمره حجباه السحاب ...اصل أمها الأصل وستها وهيبة يتحاكوا بجمالها الناس لغاية النهارده ..."²⁵

من الواضح أن الكاتب قد اختار عباراته ومفرداته بدقة متناهية وعينه على القارئ العادي ولذلك استخدم الكاتب اللهجة الصعيدية العامية لتناسب فكرة وزمان ومكان الرواية التي تدور أحداثها بقرية شق الجبل بمحافظة المنيا هذا بالإضافة إلى قدرة الكاتب الفائقة في الوصف اللغوي الذي يحول الكلمات المكتوبة إلى لوحات تشكيلية مرسومة وهي توضح ترسل روايته مع الفن التشكيلي ففي المقطع القادم في مقدمة الرواية نستطيع أن نرى كيف استخدم الكاتب الوصف البلاغي ليحيل الكلمات إلى صورة ناطقة باللون والتكوين

من المركب الذي يفرد شراعه، عندما تنتظر لقرية شق الجبل وأنت قادم من الناحية الغربية للنيل من مدينة المنيا، حتى خضرة الأراضي الزراعية المحدودة والممتدة بمحاذاة البلد، تبرز من بينها نتوءات صخرية وحجرية، تتعاقب الخضرة الموسمية بأشجار النخيل بالجبل، كل البلد تراها غلب عليها اللون الأسود، أغلبها كان مشيد بالطوب اللبن، وبعضها بحجارة غير مستوية وقليل من الملاط...تكتظ واحدة منها بقطع خشبية متنوعة مرسومة ومحفور فوق جوانبها صور متنوعة لطيور مختلفة،...²⁶

استطاع الكاتب الروائي أن يحيل الوصف اللغوي المجازي إلى لوحات وتابلوهات تنبض بالحياة ويشيع منها اللون والضوء والحياة وقد ساعد ذلك الوصف الدقيق أن يتمكن الكاتب من أن يدمج القارئ في تجربة الرواية ويعيش أحداثها ويتوحد مع رحلة بطل الرواية خلال أحداث الرواية المختلفة.

القصص الشعبي:

عمد كاتب الرواية إلى التراسل مع المخزون التراثي للشعب المصري وعمل على توظيف الأسطورة الشعبية بما لها من جماليات وقدرة على تحريك خيال القارئ وحثه على استدعاء الذكريات من الحكايات الشعبية الجميلة ليتمكن من الاستحواذ على القارئ والتمركز في عقله الباطن فيكون من السهل عليه أن يقدم له مفاهيم جديدة وفكر متجددا، ونستطيع أن نتتبع القصص الشعبي والحكايات الشعبية خلال الرواية وذلك لتمكنها من الحبكة الرئيسية حيث حاول الكاتب أن يقنع القارئ بأن روايته وبطله من أبطال الأساطير ممن سمع عنهم القارئ:

عندما يجتمع شمل الأولاد يونس وأبناء عمومته، يحبون أن تقص عليهم حكايات الشاطر حسن، رغم موتها ما زالوا يرددون بعض مقاطع حوار أحاديثها: "ست يا ستنا ياللي قصرك أعلى من قصرنا هاتي عنقود عنب للوحمانة إلى عندنا"

وفى نصايح الاب للشاطر حسن عندما يطلب منه:

"إذا سُرقت إسرقت شيخ الحرامية، وإذا لعبت قمار العب مع كبير القمارتيه، وإذا ذهبت لبنات الليل اذهب الصبحية"²⁷

الحوار المسرحي:

لقد أبدع الكاتب الروائي في استخدام فن السرد، فهذه الرواية "شق الجبل" لدليل دامغ على تمكن طنطاوي عبد الحميد من فن الحكى فأسلوبه في القص من السهل الممتنع الممتع في ذات الوقت، فما أن تبدأ القراءة حتى تنجذب بسهولة ويسر إلى حكايات الكاتب المتشعبة المتداخلة ولكن عمل الكاتب على المزج بين السرد الروائي والحوار المسرحي المركب لكي يحد من ترسل الأفكار إلى القارئ ويطفى حيوية وحضور على أحداث الرواية:

- هل الفعل الذي يأتيه الإنسان مرجعيته للقدر؟

لا تتسرع في الإجابة:

- لا بالطبع... ففي القرآن الكريم.

من يفعل مثقال ذرة سواء كان خيراً أم شراً... سيرى النتيجة.

- في الثراء شر.

-ربما ... تضحك وهي تقول:

عليك أن تهبني مليون جنيه وسأقول لك بعدها.²⁸

ومن خلال أحداث رواية "شق الجبل" يستطيع القارئ أن يتعرف على مدي ثقافة الكاتب الهائلة ومعرفته الجيدة بمجتمع الصعيد ، وكان تحول الكاتب إلى أسلوب الحوار المسرحي نوعاً من التنوع القصصي وفرصة سانحة له لكي يستعرض الكم الهائل من الثقافة المتدفقة لديه عن المجتمع الصعيدى المعقد:

- أمل يداعبك في غد قادم.

أمل...حنين...انتظار...ربما جاء الغد أخضر نادياً...ومعه تهل طيور الفرحة.

²⁷ شق الجبل، ص 53

²⁸ شق الجبل، ص 134

-وإلى متى؟

-أنت ما زلت شاباً

يضحك ويلقي برأسه للخلف.

-نعم شباب في خريف العمر.

-اعتقد صداقة مع الحياة.

-متلونة.

-لكل لون جمال وجاذبية.

-حتى الأسود الداكن.

-ارتداه الشيوخ والقسس والحكماء...مثالاً للحكمة.

-وإن أصاب العين العمى.

-البصيرة أقوى.

-كيف نفرق بين الألوان ساعتها؟

-لم تولد أعمى...احلم ولو في اليقظة.

-اغتراب وابتعاد عن واقع معاش.

- الحب.

-الحب يثقل القلب...صورة الحبيب كلعبة للعاشق...وكل العبيد لغير صورتها كفروا²⁹

للحوار عند طنطاوي طابع خاص فهو حوار مباشر يستنتج القارئ أطراف الحوار من أحداث القصة ومن خلال السرد المتواصل للقصة التي يرويها الكاتب بحرفة وتمكن لغوي فائق وهو أقرب إلى أسلوب الحداثة الروائية في استخدام تيار الشعور المتدفق لكي لا يقطع على القارئ خياله ومتعته في مواصلة ومتابعة الأحداث وهنا يوضح د. مجدي توفيق أثناء رصده للمشهد الروائي (المصري) المعاصر أن استخدام مجموعة من الروائيين المصريين لتيار الوعي " سمحت بألوان من تداخل الأنواع وتماساتها، كالتراوح بين السرد السيري

²⁹ "شق الجبل"، ص 107-108

والسرد الروائي التخيلي ، وكالقفز خارج السرد الروائي إلى شكل مقال ، أو إلى تأملات نظرية عامة قد تكون لها طابع فلسفي.³⁰

وفي النهاية كانت هذه محاولة لاستقراء رواية الكاتب الكبير طنطاوي عبد الحميد طنطاوي "شق الجبل" لفهم البنية النصية لروايته والتداخل الأدبي مع الأجناس الأدبية المختلفة وتراسل الفنون في فنه الروائي الذي جعله أداة ملهمة له في تقديم ملحمة روائية تعد من ملاحم الروايات الحديثة، وقد أتاح تداخل الأجناس الأدبية مع فن السرد لدي الكاتب مادة روائية في سياق اجتماعي كما أتاح له ذلك تعميق النص الأدبي والإبداع اللغوي الذي أدرك منذ البداية أن اللغة البسيطة المباشرة هي مفتاح خلق عمل روائي ملحمي يغوص في أعماق المجتمع ليناقش قضايا المعقدة، وقد حاولت هذه الدراسة المختصرة تقديم قراءة نقدية لتقف فقط على فكرة تراسل الفنون في رواية الكاتب ولم تتعرض الدراسة إلى الجوانب الإيجابية الأخرى التي قد تتعرض لها قراءات نقدية مماثلة لهذا العمل الأدبي الجيد من أجل اكتشاف قدرات إبداعية جديدة للكاتب طنطاوي عبد الحميد طنطاوي.

المراجع

- شق الجبل (رواية)، طنطاوي عبد الحميد طنطاوي، كيان للنشر والتوزيع، 2017.
- طلب صداقة، محمد عبد الحكم حسن، مجموعة النيل الدولية، 2014.
- خيمة زرقاء في اخر الميدان (رواية)، ثروت عكاشة، الروايات العربية، 2017.
- "أسئلة السرد الجديد (مجموعة أبحاث) د. محمود الضبع ص 333 تحت عنوان "السرد في الشعر / الشعري في السرد". كتاب أبحاث مؤتمر أدباء مصر - مرسى مطروح 2008 م.
- "أسئلة السرد الجديد (مجموعة أبحاث) د. عبد الرحيم الكردي تحت عنوان "السرد الروائي وتداخل الأنواع" ص 280، كتاب أبحاث مؤتمر أدباء مصر - مرسى مطروح 2008 م.
- "المشهد الروائي العربي" مجموعة أبحاث، د. مجدي توفيق، المجلس الأعلى للثقافة ص 420 - القاهرة 2008م بمناسبة انعقاد ملتقى القاهرة الرابع للإبداع الروائي العربي.

³⁰ د. مجدي توفيق، المشهد الروائي العربي، 2008 ص 240.

-النص الكلي " د. يوسف نوفل ص292 -سلسلة كتابات نقدية، العدد 142، هـ.ع لقصور الثقافة ، القاهرة 2004 .

- ظاهرة تراسل الفنون، د. محمد نجيب التلاوي - مجلة الموقف الأدبي، المواقع الإلكترونية، 2006

- مسرواية توفيق الحكيم، محمد يحيى النادي، الادب للنشر والتوزيع، 1966.

- تراسل الفنون في الرواية العربية المعاصرة في مصر في العقد الأول من القرن الحادي والعشرون، سماح دياب، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة المنيا، 2017.

المرجع الأجنبي

Mahmoud, Said, "Anthony Burgess and Vikram Seth as Twentieth Century Verse Novelists (A Critical Study)," Journal of Ryazan State University named for S.A. Yesenin, Russia. Vol. 28. No.3. 2010: 64-78. ISSN 0869-6446 <http://cyberleninka.ru/article/n/entoni-berdzhes-i-vikram-set-poety-romanisty-xx-veka>

